ألفاظُ (السَّنَةِ) في القرآنِ الكريم
دراسة في التركيب ودلالة والسياق

Words of (year) in the Noble Qur'an
A study of structure, significance and context

أ.م.د.جاسم محمد موسى

Assist Prof. Dr. Jassim Muhammad Musa

كلية التربية الأساسية/ جامعة واسط

College of Basic Education/ Wasit University

المُلخَّص

تقومُ فكرة البحث على عدم التسليم لمقولة (إنَّ لفظ العام يستعمل في الخير، وأنَّ لفظ السنة يستعمل في الشَّرِّ على الأكثر من دلالاتها)؛ وقد جمع الباحث الألفاظ الدالة على (السَّنة) في القرآن الكريم، وهي أربعٌ، (السَّنة، والعام، والحول، والحجَّة)، وابتدأ بدراسة دلالاتها المعجمية، ثم انتقل إلى إحصائها في الآيات الكريمة، ثُمَّ تفصيل القول في بيان دلالاتها في ضوء أقوال الأقدمين من المفسرين وعلماء اللغة، ثمَّ يذكر الباحثُ رأيهُ الذي استنتجهُ بعد المقارنة والتأمل والتحليل، في ضوء السياق، مع عدم إغفال الدلالة المحوريَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: (الدلالة السياقية، الوقت، السَّنَة)

Abstract:

The idea of the research is based on the non-acceptance of the saying (that the word “general” is used for good, and the word “The year” is used for evil at most of their connotations); The researcher collected the words indicating (The year) in the Holy Qur’an, which are four, (the Sunnah, the year, the year, and the argument), and began to study its lexical connotations, then moved on to enumerating them in the noble verses, then detailing the saying in explaining its implications in the light of the sayings of the ancients from Interpreters and linguists, then the researcher mentions his opinion, which he concluded after comparison, reflection and analysis, in the light of the context, without neglecting the pivotal significance.

key words: (contextual semantics, time, The year)

المقدمة

الحمدُ لله وكفى، والصَّلاةُ والسَّلام على سيِّدنا المصطفىﷺ..

أمَّا بعدُ، فما زال القرآنُ الكريم هو المنبع الذي لا ينضب، والكنز الذي يحوي العجَبَ والعجب، وإن إعجازه أمرٌ متعدد الجوانب والاتجاهات ويستحيل أن يحيط ببيان الإعجاز القرآني شخصٌ واحد ولا حتى مؤسسة مهما عظمت، وفي أي زمنٍ ما مهما كانت سَعَةُ علمهم واطلاعهم وتعدد اختصاصاتهم، إنما هم قد يستطيعون اجتلاء شيءٍ من أسرار القرآن في نواحٍ متعددة حتى زمانهم هم، ويبقى القرآن كما هو أنَّ كلَّ كلمة فيه قد وضعت وضعاً فنيًّا ذا دلالة مقصودة، تنطلق من الدلالة المعجمية وتنتفع منها فتسمو في فضاءات أخرى.

وكنتُ قد قرأتُ مرَّةً أنَّ الراغب الأصفهاني قد قال: « العَامُ كالسّنة، لكن كثيراً ما تستعمل السّنة في الحول الذي يكون فيه الشّدّة أو الجدب؛ ولهذا يعبّر عن الجدب بالسّنة، والْعَامُ بما فيه الرّخاء والخصب «، فأخذتُ ذلك أوَّل الأمر بمأخذ التسليم؛ تبجيلا لذلك العالم الجليل.

ولكن بما أنَّ باب البحث يبقى مفتوحاً إلى يوم القيامة، وهو ليس حكراً على أحد دون أحد، وأنَّ التدقيق والتفتيش والتأمل هو صلب عمل الباحث، فقد رأيت أنْ أجمع الألفاظ الدالة على (السَّنة) في القرآن الكريم، وهي أربعٌ، (السَّنة، والعام، والحول، والحجَّة)، ولم أجد دراسة مستقلة تتناولها بعمق، فعمدتُ إلى ذلك، وجعلتُ لكلِّ كلمة مبحثاً مستقلاً.

وكانت طريقتي في البحث أنني أبدأ بالدلالة المعجمية للَّفظ، ثم أنتقل إلى وروده في الآيات الكريمة، فأُحصيها، ثُمَّ أفصِّل القول في بيان دلالتها في ضوء أقوال الأقدمين من المفسرين وعلماء اللغة وتوجيهاتهم، ثمَّ أذكرُ رأيي الذي أستنتجهُ من المقارنة والتأمل والتحليل.

وبعدُ، فهذا هو الجهد البشريّ في محاولة لبيان شيء من الإعجاز الرَّباني والدلالة القرآنية، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

المبحثُ الأوَّلُ: السَّنَةُ

لَوْ بحثنا في الدِّلالة المُعجميَّة للفظِ السَّنةِ لوجدنا أنَّ أكثر علماءِ اللغة لَمْ يقفوا عندها طويلاً، والظَّاهر أنَّ مردَّ ذلك إلى كونها لفظاً مشهوراً معلومَ الدّلالة، ومعظمهم فسَّرها بالعام، وهناك مَنْ لم يذكرْ دلالتها الزَّمنية لكونها معلومةً كما أسلفنا، وإنَّما ذكر الدلالات الأخرى، ومن هؤلاء الخليل، فقد قال: «والسَّنَةُ: العامُ القحط»[1]، وهذا لا يعني أنَّ الدلالة المحورية للسَّنة تنحصر في العام القحط، ولكن هذا إشارة من الخليل إلى الدلالة السياقية التي

(١) العين: باب السين والنون: ٧/ ١٩٨.

اكتسبها هذا اللفظ.

ولو تجاوزنا الخليل إلى ابن دريد لوجدناه يكتفي بالقول: « وَالسّنة: مَعْرُوفَة»[١]، ويجمع كراع النمل بين التفسيرين السابقين حين يقول: «والسَّنَة: من السِّنين، ويقال: أصابَ أرضَ بني فلانَ سَنَةٌ: إذا كانت مُجْدِبةً»[٢]، ولم يذهب ابن فارس بعيداً عن ذلك التفسير البديهي[٣]، وقال: «السِّينُ وَالنُّونُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى زَمَانٍ. فَالسَّنَةُ مَعْرُوفَةٌ»[٤]، فابن فارس يرى أنَّها في أصل وضعها تدلّ على الزَّمن، لكنَّه لمْ يُحدِّدْ صفة هذا الزَّمن، أهو خيرٌ، أم جدبٌ؟.

وقد فسَّر ابن سيده السَّنة بالعام، وأضافَ قائلاً: «والسَّنةُ مُطلقَة: السَّنةُ المجدبة؛ أوقعوا ذَلِك عَلَيْهَا إكبارا لَهَا، وتشنيعا واستطالة، يُقَال: أَصَابَتْهُم السَّنةُ، وَالْجمع من كل ذَلِك سَنَهاتٌ وسِنونَ، كسروا السِّين ليعلم بذلك انه قد أخرج عَن بَابه إِلَى الْجمع بِالْوَاو وَالنُّون»[٥].

هذا من حيث الوصف العام للسَّنة أو من حيث الدلالة المُعجميَّة المحوريَّة، أمَّا من حيث امتداد أيَّامها، أو دلالتها الاصطلاحيَّة فقد قال الفرَّاء: «والسنة ثلاث مائة وستون يومًا»[٦]، وحدَّدَ الأزهري ما تحتويه السَّنة من الفصول، فقال: «والسَّنَة عِنْد الْعَرَب أَرْبَعَة أزمنة: ربيع الْكلأ، والقيظ والخَريف والشتاء»[٧]، وقد أورد الفيوميّ كلام الأزهريّ وأضاف إليهِ معنى مجازيّاً فقال: «وَرُبَّمَا أُطْلِقَتْ السَّنَةُ عَلَى الْفَصْلِ الْوَاحِدِ مَجَازًا، يُقَالُ: دَامَ الْمَطَرُ السَّنَةَ كُلَّهَا، وَالْمُرَادُ الْفَصْلُ»[٨].

ممَّا تقدَّم نستنتج أنَّ الدلالة اللغوية للسَّنة تنحصر في الزمان، وقد حدَّد علماء اللغة ذلك الزمان تحديداً دقيقاً بفصولٍ وأيَّام.

ولكن: هل السَّنة هي العام؟

لقد أجاب ابو هلال العسكريّ عن ذلك جواباً مفصَّلاً، فقال: «الفرق بَين الْعَام وَالسّنة أَنَّ الْعَام أَيَّامٌ، وَالسّنة جمع شهور، أَلا ترى أَنه لما كَانَ يُقَال أَيَّام الزنج قيل عَام الزنج، وَلما لم يقل شهور الزنج لم يقل سنة الزنج، وَيجوز أَن يُقَال الْعَام يُفِيد كَونه وقتا لشَيْءٍ، وَالسّنة لا تفيد ذَلِك؛ وَلِهَذَا يُقَال: عَام الْفِيل، وَلَا يُقَال: سنة الفيل، وَيُقَال

(١) جمهرة اللغة: مادة (سنن): ١/ ١٣٥
(٢) المنجد: ٢٢٧.
(٣) ينظر: مجمل اللغة: ٤٧٤.
(٤) مقاييس اللغة: ٣/ ١٠٣.
(٥) المحكم والمحيط الأعظم: ٤/ ٢٢٠. القاموس المحيط:فصل السين: ١٢٩٧
(٦) معاني القرآن: ٣/ ٢٢٨.
(٧) تهذيب اللغة: أبواب الهاء والدال: ٦/ ١١٠.
(٨) المصباح المنير: مادة (سنه): ١/ ٢٩٢.

فِي التَّارِيخ سنة مائَة وَسنة خمسين، وَلَا يُقَال عَام مائَة وعام خمسين إِذْ لَيْسَ وقتا لشَيْء مِمَّا ذكر من هَذَا الْعدَد، وَمَعَ هَذَا فَإِن الْعَام هُوَ السّنة وَالسّنة هِيَ الْعَام، وَإِن اقْتضى كل وَاحِد مِنْهُمَا مَا لَا يَقْتَضِيهِ الآخر مِمَّا ذَكَرْنَاهُ، كَمَا أَن الْكل هُوَ الْجمع هُوَ وَالْجمع هُوَ الْكل، وَإِن كَانَ الْكل إحاطة بالأبعاض وَالْجمع إحاطة بالأجزاء»[١].

ونفهم من هذا الكلام أنَّها لا تكون سنةً إلَّا أن تكون كاملةً بأيَّامها المعلومة وهذا هو المعنى الدقيق لها، وأمَّا الاستعمال المجازيُّ فيبيح استعمال أحدهما محلّ الآخر.

لكنَّ الراغب الأصفهاني له رأيٌ آخر، فقد قال: « العَامُ كالسّنة، لكن كثيراً ما تستعمل السّنة في الحول الذي يكون فيه الشّدّة أو الجدب؛ ولهذا يُعبّر عن الجدب بالسّنة، والْعَامُ بما فيه الرّخاء والخِصب»[٢].

وسَنُحاول وضع قول الرَّاغب في ميزان الاستعمال القرآني في الصفحات القادمة؛ لنكشفَ عن مدى دقَّة قوله.

وقد ورد لفظ (السَّنة) مفرداً ومجموعًا في القرآن الكريم تسعَ عشرة مرَّة، موضحةً في المُخطط الآتي:

نوع اللَّفــظ	عدد مرَّات وروده موزعاً على السُّور القرآنية								
سنة	البقرة(١)	المائد(١)	الحج(١)	العنكبوت(١)	السجدة(١)	الأحقاف (١)	المعارج (١)		
سنين	الأعراف(١)	يونس(١)	يوسف(٢)	الإسراء(١)	الكهف(٢)	طه (١)	المؤمنون (١)	الشعراء (٢)	الروم (١)

وبما أنَّ القرآن الكريم يستعمل كلَّ لفظٍ بدقَّةٍ فإنَّنا سنبدأ بآياتٍ تُذكرُ فيها السَّنة في سياقاتٍ مقرونةٍ بغيرها، ولعلَّ أجلاها ما ورد في سورة يوسف، قوله تعالى ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[٣]، والمعنى: ازرعُوا على عادتكم المستمرة من الخصب والرخاء، وأمرهم بأنْ يواظبوا سبعَ سنين على الزراعة، ويبالغوا فيها؛ إذ بذلك يتحقق الخِصْبُ الذي هو مصداقُ البقراتِ السمان وتأويلُها، ودلهم في تضاعيف ذلك على أمر نافعٍ لهم فقال الذي تحصدونه في كلِّ سنة دعوه فِي سُنبُلِهِ، ولا تَذْروه كيلا يأكلَه السوسُ، وأنَّه سيأتي من بعد السنين السبعِ المذكوراتِ سبعُ سنينَ صِعابٌ على الناس، ذات شدة وجوع ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يغيثُ اللهُ النَّاسَ بالفرج من القحط، فيعمُّ الخير[٤].

وقد علَّل أبو السعود استعمال لفظ العام دون لفظ السَّنة بالقول: « لم يعبّر عنه بالسنة؛ تحاشياً عن المدلول

(١) الفروق اللغوية: ٣٤٨.
(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥٩٨.
(٣) يوسف: ٤٧ – ٤٩.
(٤) ينظر: البحر المديد: ٢/ ٦٠١-٦٠٢.

الأصليِّ لها من عام القحط، وتنبيهاً منْ أولِ الأمرِ عَلى اختلاف الحالِ بينه وبين السوابق «[١].

ويبدو أنَّ القرآن الكريم قال (سنين)؛ لأنَّه في سياق حثٍّ هؤلاء القوم على الزراعة، فلا بدَّ أن يكون زرعهم يستغرق جميع أيَّام السَّنة كاملةً؛ لأنَّهم مقبلون على قحطٍ، فلا بدَّ من التشمير عن ساعد الجدّ وزراعة كل ما يستطيعون زراعته، واستغلال كل يوم من أوقاتِ السَّنة، كأنَّه يقول: ازرعوا لمدة ثلاث مائة وستين يوماً كاملةً متتابعة، بلا كللٍ ولا انقطاعٍ، ويؤكِّد هذا التوجيه أنَّه سبحانه قال: (دَأَباً)، والدَّأبُ الملازمة للشيء والاعتيادُ عليهِ، والجَدُّ فيهِ، والمدلول: حتى تكونَ زراعتكم مُتَتَابِعَةً، وَأَنْتُمْ جَادُّونَ مُستمرُّون في العَمَلِ[٢]، إذن ليس الغالب في الاستعمال القرآني للفظ السَّنة استعمالها في الضيق، وإلَّا فإنَّ قوم سيدنا يوسف عليه السلام كانوا في خيرٍ يستطيعون معه الزراعة والعمل الدؤوب.

ثمَّ إنَّه حين ذكر الشدة في السنين لم يذكر لفظ السنين، فقد قال فقط: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾، فقد وصفها بالشِّدة، ولم يقل: (سبع سنين شداد)، وأمَّا وصف الخصب بالعام فإنَّه ذكر الغيث، والغيث يأتي في فصلٍ من فصول السَّنة، لا في كلِّ السنة، وخيره يعمُّ كل السَّنة، فليس في تسميته عاماً قطعٌ بأنَّ الاستعمال يقتضي ذكر العام في الخير.

وممَّا ورد في وصف اليهود قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٣]، والمعنى: أنَّ أحد اليهود يودُّ أن يعمر ألف سنة؛ لأنه يعلم أنَّ آخرته قد فسدت عليه، فالبقاء في دار الدنيا آثر عنده من القدوم على العذاب الأليم، وهكذا بَيَّنَ اللهُ عز وجل بُعْدَهُمْ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ هَذَا الْبَقَاءَ الطَّوِيل الْمُستمرّ، وَيَحْرِصُونَ عَلَيْهِ كلَّ هَذَا الْحِرْصَ الشَّدِيدَ[٤].

ولو جرينا على قاعدة (أنَّ كلّ لفظة سنة تستعمل في الجدب) لكانت هذه الآية من أشدّ المعارضات لها، فهل يتمنَّى اليهود والمشركون أنْ يعيشوا ألفَ سنةٍ من العناءِ والجهد؟!

الجواب: لا، إنَّهم ليتمنَّون الموتَ على مثل تلك الحياة..إذن: ما دلالة السَّنة هنا؟

أرى أنَّها تدلُّ على الاستغراق والشمول، شمول كلّ أيَّام السنة المعلومة بطولها وامتدادها على الفصول الأربعة المعروفة؛ ليطول بهم العُمُر، ويؤكد لنا ذلك قول البيضاوي: « وتنكير حياة؛ لأنه أريد بها فرد من أفرادها وهي:

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٤/ ٢٨٣.

(٢) نظر: غريب القرآن للسجستاني: ٢٢٠، السراج في بيان غريب القرآن للخضيري: ١٠١.

(٣) البقرة: ٩٦.

(٤) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٣/ ١٦٨- ١٦٩، مفاتيح الغيب: ٣/ ٦٠٩.

الحياة المتطاولة»[١].

ومن ذكر السَّنَة قوله تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٢]، ومعنى الآيةِ: كَانَ مِقْدَارُ صُعُودِ الملائكةِ وسيدنا جبريل ذَلِكَ فِي يَوْمٍ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، أي: على وفق قياساتِ أهل الأرضِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَصْعَدُ مِنْ مُنْتَهَى أَمْرِهِ مِنْ أَسْفَلِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ إِلَى مُنْتَهَى أَمْرِهِ مِنْ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ[٣].

ونلحظ ها هنا أَنَّهُ لا ذكرَ للإجهاد والمَحْلِ والجدب، وإنَّما هو في سياق ذكر طول تلك المدة على وفق قياسات أهل الأرضِ، ومثله قوله تعالى ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[٤].

وإذا ابتعدنا عن الدلالة المجازية وبحثنا عن الاستعمال القرآني للفظ (السَّنة) بدلالتها المعجميَّة الدَّالة على التوقيت المعلوم، لوجدناها في ثلاثة مواضع:

-أحدهما: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٥].

-والآخر: في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾[٦]، قال زين الدين الرازي: «وإنَّما ذَكَرَ عدد السنين وقدَّمه على الحساب؛ لأنَّ المقصودَ الأصلي من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة علمُ عدد الشهور والسنين، ثم يتفرع من ذلك علم حساب التاريخ وضرب المدد والآجال»[٧].

ونلحظ أنَّ الآيتين متشابهتان في السِّياق، فكلٌّ منهما تتحدَّث عن عظمة ترتيب الخالق لهذا الكون العظيم، وتعليمه سبحانه لخلقه أقسام اليوم من حيث الليل والنَّهار، وتقسيم منازل القمر، كلُّ ذلك ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، فالمقصود هنا السَّنة الكاملة التَّامَّة غير المنقوصة؛ ودُخول مَا يَدْخُلُ مِنْهَا، وَانْقِضَاء مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْهَا وَحِسَابِهَا، وَحِسَابَ أَوْقَاتِ السِّنِينَ، وَعَدَد أَيَّامِهَا، وَحِسَابَ سَاعَاتِ أَيَّامِهَا؛ ليعرفَ النَّاسُ عدد

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/ ٩٥.
(٢) المعارج: ٤.
(٣) جامع البيان: ٢٣/ ٦٠١.
(٤) السجدة: ٥.
(٥) يونس: ٥.
(٦) الإسراء: ١٢.
(٧) أنموذج جليل: ٢٧٣.

السنوات بدقَّة ويستعينوا بذلك على تنظيمها، ومعرفة ذلك ضروري لحياة الإنسان الدينية والدنيوية[١]؛ ولذلك قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَوْ جَعَلَ شَمْسَيْنِ، شَمْسًا بِالنَّهَارِ وَشَمْسًا بِاللَّيْلِ لَيْسَ فِيهِمَا ظُلْمَةٌ وَلَا لَيْلٌ، لَمْ يُعْلَمْ عَدَدُ السِّنِينَ، وَحِسَابُ الشُّهُورِ»[٢]، وهذه دلالةٌ وضعيَّة مُعجميَّة، لم تخرج فيها السَّنةُ إلى دلالة أخرى، كالدّلالة على الجدب.

-الثالث: ومن ذكر السَّنة قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣]، فاجتمع أشده، وتمَّ حزمه وجده، وزالت عنه شَرُّ الشباب، وطيش الصبا وهفواته، ورعونة الجهل، ولذلك كان هذا السن وقت بعثة الأنبياء، وهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَوَجُّهَ الْإِنْسَانِ إِلَى عَالِمِ الْعُبُودِيَّةِ، وَالِاشْتِغَالِ بِطَاعَةِ اللهَّ إِنَّمَا يَحْصُلُ مِنْ هَذَا الْوَقْتِ[٤].

فالسَّنة هنا في سياق ذكر اكتمال العمر للأربعين تماماً، وليست في سياق الجهد والمشقَّة، وسنُّ الأربعين هو سنُّ كمال العقل، وفيه بُعث كلُّ الأنبياء -عليهم السَّلام-[٥].

غيرَ أنَّنا لا نعدم وجود مواضع قد تبدو لأوَّل وهلةٍ صريحة بلفظ السِّنين في سياق العذاب، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٦]، ومَدلولُ الآية: أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالْجُوعِ وَالْقَحْطِ عَامًا بَعْدَ عَامٍ، فَالسُّنُونُ لِأَهْلِ الْبَوَادِي وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لِأَهْلِ الْقُرَى؛ لكي يتنبهوا على أنَّ ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتَّعظوا، أو ترقَّ قلوبهم بالشَّدائد، فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده؛ لأنَّ الشِّدَّةَ تَجْلِبُ الْإِنَابَةَ، وَالْخَشْيَةَ، وَرِقَّةَ الْقَلْبِ، وَالرُّجُوعَ إِلَى طَلَبِ لُطْفِ اللهَّ وَإِحْسَانِهِ[٧].

وقد أجمعَ المفسِّرون على أنَّ لفظ (السِّنين) هنا دَلالتهُ الجَدْبُ، سَنَةً بعدَ سنةٍ، ووقوعُ الجوع والقَحطِ[٨].

ومَع أنِّي أتفقُ معهم، لكنَّي أرى أنَّ ما جعل لفظ السِّنين هنا دالًّا على المشقَّة ليس اللفظ بذاته، وإنَّما إطلاقُهُ، وقد ذكر علماءُ اللغة -كما تقدم- أنَّ لفظ السنين إذا أُطلق دلَّ على الجهد، أمَّا إذا قُيِّدَ بقيدٍ، مثل: سبع سنين،

(١) ينظر: جامع البيان: ١٥/ ٢٤، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ٢١٦.
(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١١/ ١٢٦.
(٣) الأحقاف: ١٥.
(٤) مفاتيح الغيب: ٢٨/ ١٨، نظم الدرر: ١٨/ ١٤٨.
(٥) مفاتيح الغيب: ٢٤/ ٥٨٣.
(٦) الأعراف: ١٣٠.
(٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٤/ ٣٤٤، أنوار التنزيل: ٣/ ٣٠، البحر المحيط: ٥/ ١٤٧.
(٨) ينظر: تفسير مجاهد: ٣٤١،معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٩٢، جامع البيان: ١٣/ ٤٥، بحر العلوم: ١/ ٥٤٢، الكشاف: ٢/ ١٣٥، الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٢٦٣.

فليس فيه دلالة على الجهد أبداً، ويؤيِّد هذا ويؤكده ما ورد في آيةٍ أخرى من قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[١]، فهذه الآية تُصرِّح بوجود المتعة والسَّعادة في تلك السِّنين، ولا وجود للجدب والجوع والقحط والشِّدَّة، حتى أنَّ ابن عباس حين أراد بيان مدلول السِّنين قال: « يريد منذ خلق الله الدنيا إلى أن تنقضي في النعيم والسرور والنَّضارة»[٢]، ومثله قال عكرمة[٣] وهكذا نلحظ أنَّ المدلول قد اتَّسعَ، فصار يدلُّ على الدَّهر كاملاً.

وقد تجتمعُ الدلالة المُعجميَّة على الوقت عند ذكر السِّنين، مع إمكانيَّة تضمُّنها الدلالة على الجَهد والتَّعب، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[٤]، فمع أنَّ المراد هنا بيان أنَّ سيدنا يوسف قد مكث مدة طويلة، سنين كاملة بأيَّامها وشهورها، إلَّا أنَّها تضمنت الإشارة إلى الشِّدة التي عاناها سيدنا يوسف بسبب السجن ظُلماً.

نستنتج ممَّا سبقَ أنَّ لفظ (السّنة) مفرداً لَمْ يأتِ في القرآن الكريم للدلالةِ على الجهد والمشقَّة والعناء إلَّا في بعض المواضع وعلى سبيل الإشارة الخفيَّة والتأويل الذي فيهِ بُعْدٌ، وأنَّه جاء بدلالته المُعجميَّة التي قد تقترن بمعانٍ أخرَ غير الجهد والعناء، وربَّما جاءت في سياق الخير، وأنَّ لفظ (السِّنين) لَمْ يأتِ للدلالة على المشقة إلَّا إذا اقترن بقرينةٍ لفظيَّة، مثل (الأخذ)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾، فلفظ الأخذ هو الذي أكسبها تلك الدلالة، وقد وصف اللهُ تعالى (أَخْذَهُ) بالقول: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٥].

المبحثُ الثَّاني: العَامُ

قال الخليل: «والعامُ: حَوْلٌ يأتي على شَتْوةٍ وصَيْفَةٍ، أَلِفُها واو، ويُجمَع على الأعوام»[٦]، في حين فسَّرَ الجوهريُّ العام بالسَّنة[٧]، وتابعهُ الفيروز آبادي[٨].

فالخليلُ يُشير إلى المعنى الذي ذكرناه في المبحث الأول من كون العام فصلين من السَّنة، وبناءً على ذلك فهو في أفضل أحواله نصفُ سنةٍ، أو أكثر من ذلك بقليل، وليس في كلامه إشارةٌ إلى أنَّهُ خاصٌّ بالخير.

(١) الشعراء: ٢٠٥ – ٢٠٧.
(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٧/ ١٣٤.
(٣) ينظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٥٢٥.
(٤) يوسف: ٤٢.
(٥) هود: ١٠٢.
(٦) العين: العين والميم وواي:٢/ ٢٦٨.
(٧) الصحاح: (عوم): ٥/ ١٩٩٣.
(٨) القاموس المحيط: فصل العين: ١١٤١.

أمَّا ابن سيده فقد صرَّح بورود العام حتى في الجدب، فقال: « الْعَام: الْحول. وَالْجمع أَعْوَام، لَا يكسر على غير ذَلِك، وعام أعومٌ؛ على الْمُبَالغَة، وَأرَاهُ فِي الجدب كَأَنَّهُ طَال عَلَيْهِم لجدبه وَامْتِنَاع خصبه وَكَذَلِكَ أَعْوَام عوم»[1].

أمَّا الفرق بين العام والسنة فقد قال أبو هلال العسكري فيه: « قال ابن الجواليقي: ولا يفرق عوام الناس بين السنة والعام ويجعلونهما بمعنى، ويقولون لمن سافر في وقت من السنة أي وقت كان إلى مثله: عام، وهو غلط، والصواب ما أخبرت به عن أحمد بن يحيى أنه قال: السنة من أول يوم عددته إلى مثله، والعام لا يكون إلا شتاء وصيفا... وعلى هذا فالعام أخص من السنة، وليس كل سنة عاما، فإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة وقد يكون فيه نصف الصيف، ونصف الشتاء.

والعام لا يكون إلا صيفا أو شتاء متوالين»[2].

وقد ورد لفظ العام في القرآن الكريم مفرداً ومجموعاً تسع مرات، يُبيّنها الجدول الآتي:

نوع اللفظ	عدد مرَّات وروده مُوزَّعاً على السُّور القرآنيَّة			
عامٌ بالإفراد	البقرة (٢)	التوبة(٤)	يوسف(١)	العنكبوت(١)
عامين بالتثنية	لقمان(١)	ـــــ	ـــــ	ـــــ

وأوَّل ما سنتناوله بالدِّراسة ما ورد في سورة البقرة، قال تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، ولا نُطيلُ الوقوف عن تفسير الآية ولكن نختصرها بما ورد عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: « خَرَجَ عُزَيْرٌ نَبِيُّ اللهَّ مِنْ مَدِينَتِهِ، وَهُوَ شَابٌّ، فَمَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ خَرِبَةٍ فَقَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟!، فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ مِنْهُ عَيْنَاهُ، فَنَظَرَ إِلَى عِظَامِهِ يُنْصَبُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ كُسِيَتْ لَحْمًا، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ، فَقِيلَ لَهُ: كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْبَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ، قَالَ: فَأْتَى مَدِينَتَهُ، وَقَدْ تَرَكَ جَارًا لَهُ إِسْكَافًا شَابًّا، فَجَاءَ وَهُوَ شَيْخٌ»[4].

وسياقُ هذه الآية الكريمة واضح، فهو في ذكر قصَّةٍ الفائدةُ منها الاستيقان من قدرة الله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ﴾، وليست هي في ذكر الخِصب، ولكنَّها ذكرتِ الموت، فهو في ظاهرهِ ألمٌ، وإنْ كانت قد ترتَّبت عليه

(١) المحكم والمحيط الأعظم: ٢/ ٣٨٠.
(٢) الفروق اللغوية: ٣٤٨-٣٤٩.
(٣) البقرة: ٢٥٩
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٢/ ٥٠٢-٥٠٣.

معجزةٌ عظيمة.

وقد قال الواحدي في تفسير الآية: «العامُ -وجمعه أعوام-: حولٌ يأتي على شتوة وصيفة، قيل: إنَّ أصله من العوم، الذي هو السِّباحة؛ لأن فيه سَبْحًا طويلًا؛ لما يمكن من التصرف فيه «[1]، فالواحديُّ يشير إلى أنَّ مدلول (العام) هنا هو الزَّمن الطويل الذي مرَّ على ذلك الرَّجل، وهو توجيهٌ مقبولٌ إلى حدٍّ ما، وهو وإنْ كان ينطوي على إشارةٍ سنأتي عليها في بيان وجهة نظرنا في مدلولها، لكنِّي لا أراهُ مُعبِّراً بدقَّةٍ عن دلالة العام في هذا السياق.

أمَّا ابن عطية فلم يذهب بعيداً حين نقلَ عن النَّقَّاش قوله: «العام مصدر كالعوم؛ سمِّي به هذا القدر من الزمان؛ لأنَّها عومةٌ من الشمس في الفلك، والعوم كالسبح»[2]، فهو يشير إلى أنَّ مدلول العام يرتبط بتقلبات الشمس التي ينتج عنها تقلب الفصول.

ويبدو لي أنَّ السَّبب وراء اختيار لفظ العام الإشارة إلى تقلبات الفصول، مثلاً بين الشتاء والصَّيف؛ لأنَّ الآية الكريمة ذكرتِ التغيُّرات التي حصلت للرجل ودابته وطعامه، فالأشياء التي لا تفسد في الشتاء تفسد حين يمرُّ عليها الصَّيف، وإنَّ هذه التقلبات الجويَّة المختلفة لكفيلة بمحو كلّ أثرٍ للرجل ودابته وطعامه.

وانظر إلى جواب الله تعالى له حين قال: ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾، أي: خَضَعْتَ للتغيُّرات المناخيَّة الجويَّة مائة مرَّة، وليست مرَّة واحدة.

وقد يُشير لفظُ (العام) هنا إلى العموم، أي: أنَّ التغيُّرات عمَّتْ كلَّ شيءٍ، ألا ترى أنَّ القرية المذكورة في الآية التي كانت خراباً قد رجعت إليها الحياة في كلِّ نواحيها؟!

ومن ورود (العام) في سياق الخصب والخير الآية التي أوردناها في المبحث الأول ضمن مجموعة من الآيات، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[3]، فقد عبَّر عن الرَّخاء هنا بـ(العام)[4].

ويبدو لي معنى آخر وهو شُمول أهل مصر ومن جاورهم بذلك الخير، ويؤكد هذا المعنى أنَّ لفظ العام فيه مأخوذٌ من العموم، وأصلُهُ العين والميم، قال ابن فارس: « الْعَيْنُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الطُّولِ وَالْكَثْرَةِ وَالْعُلُوِّ»[5]، ويُقالُ: عمَّ الشيءُ يعمُّ عُموماً إذا شمل الجماعة[6]، إذن في لفظ (العام) دلالةٌ خفيَّةٌ دقيقةٌ على انتشار الخير في عامَّة أهل الأرضِ بعد انتشاره بمصر.

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٤/ ٣٨٦.
(٢) المحرر الوجيز: ١/ ٣٤٤.
(٣) يوسف: ٤٩.
(٤) ينظر: بصائر ذوى التمييز: ١١٥٣.
(٥) مقاييس اللغة: ٤/ ١٥.
(٦) الصحاح: مادة (عمم):٥/ ١٩٩٣.

ومن ورود العام لما يُمكن أنْ نؤوِّله-وإنْ كان تأويله بعيداً فيه خَفاءٌ- على الخير، ما ورد من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]، فمدلول هذه الآية: أنَّ المشركين قذر ورجس، فلا يجوز أنْ يدخلوا أرض مكة، أو الحرم كله بعد سنة تسعٍ من الهجرة[2].

ولفظ (العام) لا يدلُّ على الخير والخصب إلَّا بتأويل أنَّ ذلك العامَ كان آخر عامٍ راحةٍ للكُفَّار في أنَّهم يدخلون الحَرَمَ دون منعٍ، وهو يدلُّ على جزءٍ من السَّنة وهو الوقتُ الذي يحجُّ فيه الحُجَّاج، وليس المرادُ سنةً كاملةً بأيَّامها وأسابيعها وشُهورها.

ومن ورود (العام) في سياقٍ غير الخصب والخير، بل على العكس أعني في سياق العقوبة، قوله تعالى مُخبراً عن المنافقين: ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[3]، ولكي نقع على المعنى الدقيق للعام، لابد لنا من الوقوف عند المراد بالفتنة، فقد اختُلفَ في معنى الفتنة على أقوال، منها أنَّ المراد أنَّهم يُبْتَلَوْنَ بِطلب الجهاد في سبيل الله منهم فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وهو ابتلاء لهم؛ لأنَّهم لم يؤمنوا حقّاً[4]، أو أنَّهم يُبْتَلُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ بِالسَّنَةِ وَالْجُوعِ فيُزلزلُ ذلك نفوسَهم[5] ، أو أنَّهم يُمتحنون بالمرضِ في أجسادهم[6].

أمَّا الإمام الطبريُّ فقد قال بعد أنْ استقصى تلك الأقوال وغيرها: « وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَجَّبَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَوَبَّخَ الْمُنَافِقِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِقِلَّةِ تَذَكُّرِهِمْ وَسُوءِ تَنَبُّهِهِمْ لِمَوَاعِظِ اللهِ الَّتِي يَعِظُهُمْ بِهَا. وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْمَوَاعِظُ الشَّدَائِدَ الَّتِي يَنْزِلُهَا بِهِمْ مِنَ الْجُوعِ وَالْقَحْطِ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ مَا يُرِيهِمْ مِنْ نُصْرَةِ رَسُولِهِ عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ وَيَرْزُقَهُ مِنْ إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ عَلَى كَلِمَتِهِمْ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ مَا يَظْهَرُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ نِفَاقِهِمْ وَخُبْثِ سَرَائِرِهِمْ بِرُكُونِهِمْ إِلَى مَا يَسْمَعُونَ مِنْ أَرَاجِيفِ الْمُشْرِكِينَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ. وَلَا خَبَرَ يُوجِبُ صِحَّةَ بَعْضِ ذَلِكَ، دُونَ بَعْضٍ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ مِنَ التَّسْلِيمِ لِظَاهِرِ قَوْلِ اللهِ، وَهُوَ: أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُخْتَبَرُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ بِمَا يَكُونُ زَاجِرًا لَهُمْ ثُمَّ لَا يَنْزَجِرُونَ وَلَا يَتَعِظُونَ»[7].

---

(١) التوبة: ٢٨ .

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/ ٥١، الكشف والبيان: ٥/ ٢٧.

(٣) التوبة: ١٢٦.

(٤) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ٢/ ١٧٢.

(٥) تفسير مجاهد: ٣٧٨.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١١/ ١٠٠.

(٧) جامع البيان: ١٤/ ٥٨١.

وفي هذه الآية ردٌّ صريح على من يدَّعون أنَّ العام في القرآن الكريم يدلُّ على الخير أو الخصب، فأين الخيرَ في الفتنةِ كيفما كان شكلها مع تكرارها في كلِّ عامٍ مرَّةً ومرَّتين؟!.

وقد يتضمَّن لفظ العام هنا الدلالة على حدوث الاختبارات في فصولٍ مختلفة من السَّنة، كالقتال الذي كان إذا حصل صيفاً قال المنافقون لا نطيق الحرّ، وإن كان شتاءً فرّوا من البرد، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[1].

ومن ذكر (العام) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2]، والمقصود بالنَّسيء، تأخير المحرم إلى صفر، وهو زيادة الإثم في كفرهم، فكانوا إذا احتاجوا إلى تحليل المحرّم لحربٍ تكون بينهم، يؤخِّرون تحريم المحرّم إلى صفر، ويقاتلون في المحرم، وكانوا يَحُجُّوْنَ في ذي الحجة عامين بحسبِ هواهُم، ثم يحجون في المحرم عامين، ثم يَحُجُّوْنَ في صفر عامين، وكانوا يَحُجُّوْنَ في كل سنة في كل شهرٍ عامين، وكلُّ ذلك تلاعبٌ بشرع الله؛ ولذلك وصفه سبحانه بالكفر وزيادة[3].

وهذا تغييرٌ في داخل السَّنة بالأشهر والفصول، ولم يكن تغييرهم يحصل كلَّما تمرُّ سنةٌ كاملةٌ، ولا علاقة له بالخصبِ والخير الذي يعمُّ.

ومن ذكر (العام) قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[4]، الفصال: الفطام، وهو أن يفصل الولد عن الأم كي لا يرضع[5]، وذكر المفسرون أنَّ التقدير: وفصاله في انقضاء عامين[6]، أي: في انتهائهما، أو بعد انتهائهما.

ويبدو أنَّ المراد ليس سنتين كاملتين، وإنَّما مرور أكثرهما، كالسَّنة والنصف، وهذا معلومٌ من الواقع؛ فإنَّ الأمَّ قد تفطم طفلها بعد سنةٍ وأكثر، بحسب حالته وحالتها، وقد يخضع ذلك لأمور أخرى.

ونختمُ هذا المبحث بآيةٍ تذكر السَّنة والعام في سياقٍ يبدو واحداً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[7]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: « بُعِثَ نُوحٌ وَهُوَ

(١) التوبة: ٨١.
(٢) التوبة: ٣٧.
(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢/ ٥٦-٥٧، الهداية: ٤/ ٢٩٩٠.
(٤) لقمان: ١٤.
(٥)
(٦) معانى القرآن للأخفش: ٢/ ٤٧٧، التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٨/ ١٠٤، تفسير ابن فورك: ١/ ٤٥٢.
(٧) العنكبوت: ١٤.

لأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ سَنَةً حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ وَنَمَوْا»[1].

وقد أورد الزمخشريُّ سؤالاً عن سبب المغايرة بين السَّنة والعام في الآية الكريمة، ثمَّ أجاب عن ذلك بثلاثة أسباب[2]:

-الأول: لأنَّه أراد تسع مائة وخمسين سنة كاملة العدد والأيَّام والشهور، ولم يُرد من الأعوام ذلك، ولم يُصرّحْ بلفظ كاملة العدد؛ أنّ ذلك أخصر، وأعذب لفظاً، وأملأ بالفائدة.

-الثاني: أنّ القصة في سياق لذكر ما ابتُلي به سيِّدنا نوح عليه السلام من أمّته، وما كابده من طول المصابرة؛ تسلية لسيدنا رسول الله ﷺ وتثبيتاً له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه ، أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدّة صبره.

-الثالث: لأنّ تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيقٌ بالاجتناب في البلاغة؛ خشيةً الملالةِ، إلا إذا وقع ذلك التكرير لأجل غرضٍ دلاليٍّ يقصده المتكلمُ من تفخيم، أو تهويل، أو تنويه، أو نحو ذلك من قوَّة التماسك النَّصِّي .

ويبدو لي إضافةً لما سبق أنَّه يُمكننا القول إنَّ العام يدلُّ هنا على الخير والراحة، وأنَّ السَّنة تدلّ على الجهد والمشقة؛ لأنَّ لبث سيِّدنا نوح عليه السلام في قومه طول تلك المدة فيه من المشقة والمعاناة والجَهد الشيء الكثير، وإنَّما استثنى باقي السنوات فسمَّاها عاماً لأنَّها أمَّا كانت قبل البعثة وفيها كان سيِّدنا نوح عليه السلام بعيداً عن الصِّدام المباشر، أو كانت بعد الطوفان وهي أعوام خصبٍ وخير وإيمان.

نستخلص ممَّا سبق أنَّ لفظ العام قد ورد للدلالة على الخير والشرّ على حدٍّ سواء، ولم تقتصر دلالته على الخير والخصب فقط، ودلَّ أيضاً على أوقاتٍ من العام كالفصول، كما دلَّ على العموم والانتشار بحسب السِّياق الوارد فيه بعد استقراء الأجواء العامة للآيات الوارد فيها.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٨/ ٢٧٨٧.
(٢) ينظر: الكشاف: ٣/ ٤٥٠.

المبحث الثَّالث: الحَوْلُ

قال الخليل: «والحَوْل: سَنةٌ بأَسْرِها. تقول: حال الحَوْلُ، وهو يَحُول حَوْلاً وحؤولاً، وأحال الشّيءُ إذا أتى عليه حولٌ كامل. ودارٌ مُحِيلةٌ: غاب عنها أهلُها منذ حول، وكذاك إذا أتت عليها أحوال»[١]، فالدلالة الوضعيَّة المُعجميَّة للحول عند الخليل تتمثَّل بالسَّنَة الكاملة، مع إشارتهِ إلى مسيس مباشر وصريح للفظ الحَول بالأحوال، وتابعهُ في ذلك ابن دريد[٢]، والأزهريُّ[٣]، وغيرهم، وقال ابن فارس: «الْحَاءُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ تَحَرُّكٌ فِي دَوْرٍ. فَالْحَوْلُ الْعَامُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَحُولُ، أَيْ يَدُورُ. وَيُقَالُ حَالَتِ الدَّارُ وَأَحَالَتْ وَأَحْوَلَتْ: أَتَى عَلَيْهَا الْحَوْلُ»[٤].

أمَّا أبو عمرو الشيباني فذكرَ أنَّ الحول: هو المُدَّة الزمنية التي تكون بعد زرع الزَّرع إلى وقت حصاده[٥].

ويبدو أنَّ تحديد علماء اللغة الحَوْل بالسَّنة الكاملة متأثر بالتفسير الفقهي للآية الوحيدة الواردة في هذا الشأن، فقد ورد لفظ الحول مُثنَّى في القرآن الكريم في موضع واحد، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَّ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٦].

وقد أشار الواحديُّ إلى أنَّ لفظ (كامِلين) هو الذي منحَ الحول دلالة السَّنة الكاملة[٧]، وهذا يعني أنَّه لا يدلُّ هنا على السَّنةِ الكاملةِ بالدِّلالة الأصليَّة الوضعيَّة المعجميَّة، وإنَّما اكتسب تلك الدلالة بسبب الصِّفة التي قطعت الطريق أمام الظَّنّ بأنَّ المراد سنة كاملة، وقد تابَعَهُ السَّمعانيُّ[٨]، والبغويُّ[٩] في بيان هذا المدلول.

ويبدو لي أنَّ القرآن الكريم قد سمَّاها حولين؛ للإشارة إلى ما يحدث فيهما من تحوُّلاتٍ كثيرة في المولودِ، مِنْ نموٍّ وتغيُّراتٍ جسديَّة، كظهور الأسنان، حتى تنتهي باستغنائهِ عن اللَّبن (حليب الأمِّ) وتوجهه نحو الأكلِ، وقد يكون آكلاً بيديهِ، وهكذا يبدأ بالاستغناء شيئاً فشيئًا عن أمِّهِ.

---

(١) العين: باب الحاء واللام: ٣/ ٢٩٧.
(٢) ينظر: جمهرة اللغة : مادة (حلو) ١/ ٥٧٠.
(٣) تهذيب اللغة: باب الحاء واللام: ٥/ ١٥٥.
(٤) مقاييس اللغة: ٢/ ١٢١.
(٥) ينظر: الجيم: ١/ ١٧٢.
(٦) ينظر: جامع البيان : ٥/ ٣٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/ ٣١٢، التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٤/ ٢٤٤، دَرْجُ الدُّرر: ١/ ٣٢٨.
(٧) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٤/ ٢٤٤
(٨) ينظر: تفسير القرآن: ١/ ٢٣٦.
(٩) ينظر: معالم التنزيل: ١/ ٣١٢.

المبحث الرّابع: الحِجَّة

فسَّر معظمُ علماء المعجم الحِجَّة بالسَّنةِ[١]، وقال ابن فارس: «الْحَاءُ وَالْجِيمُ أُصُولٌ أَرْبَعَةٌ. فَالْأَوَّلُ الْقَصْدُ، وَكُلُّ قَصْدٍ حَجٌّ»[٢]، ولَمَّا جاء إلى المعنى الثاني لهذا الأصل اللغوي أجازَ إمكانيَّة ربط دلالته الأصليَّة بالأصل الدّلاليِّ الأول، فقال: « وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الْحِجَّةُ وَهِيَ السَّنَةُ. وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ هَذَا إِلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الْحَجَّ فِي السَّنَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَكَأَنَّ الْعَامَ سُمِّيَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَجِّ حِجَّةً»[٣].

وذهب أبو هلال العسكريّ إلى نحو ذلك حين قال: « الْفرق بَين السّنة وَالْحجّة، أَنَّ الْحجَّة تفِيد أَنَّهَا يُحجّ فِيهَا، وَالْحجّة الْمرة الْوَاحِدَة من حَج يحجّ، وَالْحجّة فِعلة، مثل الجِلسة والقِعدة، ثمَّ سميت بهَا السّنة كَمَا يُسمَّى الشَّيْء باسم مَا يكون فِيهِ»[٤].

فابن فارس والعسكريّ يريان أنَّ سبب تسمية السَّنة بالحجة؛ لأنَّ الحجّ يكون فيها، ولكن هذا القول يعني أنَّه لا نسمي السَّنة حجة إلَّا إذا كان فيها حجّ بمعنى وقت حجّ، وهذا يوصلنا إلى أنَّ مدلول الحجَّة عند ابن فارس هو السَّنة الكاملة؛ لأنَّ الحج لا يكون إلَّا مرَّة واحدة في السَّنة.

والحقيقة أنَّنا يمكن أن نقول بعد مرور أشهر الحجِّ قد مرَّت عليَّ حجَّة، فلا يكون المقصد السَّنة الكاملة، ولكن إن أردنا الجمع (حجج) فربَّما كانت أكثر من سنة كاملات.

وفي كلامهما أيضاً إشارة إلى أنَّ بين الحجَّة والسَّنة عموماً وخصوصاً، فكلُّ سنةٍ حجَّة، وليس كلّ سنة حجَّة، ولكن ممَّا أثار انتباهي هو تغاضي علماء اللغة عن أصل الدلالة لمادة (حجّ) وهي دلالة أحسبُها كانت قبل تشريع الحجّ، وهي (القصد)، فلا بدَّ أن يكونَ للدلالة المعجميَّة الأصليَّة أثر في تطوّر أيّ دلالة أخرى، كما حصل في تحوّل لفظ الحج من مطلق القصد إلى كونه ركناً معلوماً من أركان الإسلام يقوم على قصد البيت الحرام.

وقد ورد لفظ الحجة في القرآن الكريم مرَّة واحدةً مجموعاً، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾[٥]، ومعنى: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ﴾هو أنْ تكون أجيرًا لي في رعيي ماشيتي، وغير ذلك من صنوفِ الخدمةِ ثماني سنين[٦].

---

(١) الصحاح: مادة (حجج): ١/ ٣٠٤، المحكم والمحيط الأعظم: (الحاء والجيم): ٢/ ٤٨٢، المصباح المنير: مادة (حجج):١/ ١٢١.
(٢) مقاييس اللغة: ٢/ ٢٩.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٣١.
(٤) الفروق اللغوية: ١/ ٢٧١.
(٥) القصص: ٢٧.
(٦) ينظر: جامع البيان: ١٩/ ٥٦٥، بحر العلوم: ٢/ ٦٠٥، الهداية: ٨/ ٥٥٢٢.

وقد انشغل المفسِّرون في بيان حُكمِ الزواج في مثل هذه الحالة، أعني: الزواج مقابل أجرة، وتكلَّموا في المهر وأحكامه، وتابع بعضُهم بعضاً في ذلك، ولم يقف أحدٌ منهم طويلاً عند لفظ (الحجج)، ودلالته وسبب اختياره، دون السَّنة والعام والحول.

ويبدو لي أنَّه اختار لفظ الحجج للغايات الدلاليَّة الآتية:

١- إنَّهُ لو قال (سنين) لربَّما شعر سيِّدُنا موسى عليه السلام بطولها وثقلها عليه، ولمَّا كانت الحجة دون السَّنة اختارها تخفيفاً، وقد كان سيدنا شعيب عليه السلام غاية في الرحمة والرفق، ألا ترى أنَّه قال: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾.

٢- أنَّه لو قال:(ثماني أحوال) فلربَّما أشعر ذلك سيِّدَنا موسى عليه السلام بإقبال التَّحولات التي لا تُعرف، ولا يُدرى مآلها.

٣- أنَّه قال (حجَّج) جمع حجَّة؛ إشارةً إلى إمكانية ذهابهم إلى الحجِّ ثماني مرَّات، فالحجّ كان في كلِّ الأمم السالفة، وهذا ألطف على قلب المُحبّ لربِّه سيدنا موسى عليه السلام.

٤- أنَّه قال (حجَّج) جمع حجَّة؛ من القَصدِ، أي: فتكونَ قاصداً خِدمتي فقط، ولا تشتغل بعملٍ غيرها، ولا تلتفت إلى سواها.

الخاتمة ونتائج البحث

- بعد إحصاء الألفاظ التي تدلُّ على السَّنة تبيَّن أنَّ مجموعها ثلاثون، توزَّعت على أربعة ألفاظ: السَّنة، والعام، والحَول، والحِجَّة، وأنَّ لفظ السَّنة في القرآن الكريم تبيَّن أنَّه ورد مفرداً ومجموعًا تسعَ عشرة مرَّة، مفرداً سبع مرَّات توزَّع على سبعِ سُورٍ، ومجموعاً اثنتي عشرة مرة موزَّعاً على تسعِ سُورٍ.

- ليست الدلالة على القحط والجدب والشِّدة هي ما يُميِّز دلالة لفظ (السَّنة) مفرداً أو مجموعاً في القرآن الكريم، وليست هي الأكثر كما قال الراغب الأصفهانيُّ وغيره، إذ لم أجد الإشارة إلى الشِّدة والجدب إلَّا في بعض المواضع وعلى سبيل الإشارة الخفيَّة والتأويل الذي فيهِ بُعْدٌ، وأنَّه جاء بدلالته المُعجميَّة الدَّالة على الزمن المعلوم على الأكثر، وقد تقترن بمعانٍ أخرَ غير الجهد والعناء مثل الدلالة على العمل الدَّؤوب أو عمر الإنسان، وربَّما جاءت في سياق الخير، وأنَّ لفظ (السِّنين) مجموعاً شأنُهُ شأنُ المفرد لَمْ يأتِ للدلالة على المشقة إلَّا إذا اقترن بقرينةٍ لفظيَّة، مثل (الأخذ).

- أنَّ لفظ العام في القرآن الكريم قد ورد تسع مرات، ورد بلفظ المفرد ثماني مرَّات موزَّعاً على أربع سُور، ومُثنَّى في سورةٍ واحدة.

- لَمْ يرد لفظ (العام) دالًّا على الخير في أكثر سياقاته، ولكن على العكس قد ورد للدلالة على الخير والشرّ على حدٍّ سواء، ولم تقتصر دلالتُه على الخير والخصب فقط، فقد دلَّ أيضاً على أوقاتٍ من العام كالفصول، كما دلَّ على العموم والانتشار بحسب السِّياق الوارد فيه بعد استقراء الأجواء العامة للآيات الوارد فيها.

- وردَ لفظ (الحول) في القرآن الكريم مرَّة واحدة بصيغة المُثنَّى في سورة البقرة، ولمْ يدلُّ على السَّنة كاملةً إلَّا بقرينة لفظية هي الصِّفة، حين قال: (حَوْلين كاملين)، وقد دلَّ على التَّحوُل للإشارة إلى ما يحدث في مدَّة رضاعة الطفل من تحوُّلاتٍ كثيرة؛ للارتباط الوثيق بين الدلالة المعجميَّة ودلالته السياقيَّة مِنْ نموٍّ وتغيُّراتٍ جسديَّة، كظهور الأسنان، حتى تنتهي باستغنائهِ عن اللَّبن (حليب الأمِّ) وتوجهه نحو الأكلِ، وقد يكون آكلاً بيديهِ، وهكذا يبدأ بالاستغناء شيئاً فشيئًا عن أمِّهِ، ويكون قد تحوَّلَ من حالٍ إلى حال، إذ لا يشترط رضاعه سنتين كاملتين.

- إنَّ لفظ (الحِجَّة) الدَّالّ على السَّنةِ قد ورد في القرآن الكريم بلفظ الجمع مرَّةً واحدةً في سورة القصص، وقد ارتبطت دلالته السياقيَّة بأصل دلالته المعجميَّة، حيث أُريدَ بها إخلاص القصد في الخدمة طيلة المدد المُتفَق عليها، كما تضمَّنت الدلالة على عدم حصر المدة بثماني سنوات بأيَّامها، وإنَّما الاكتفاء بما يقاربها من مُدة زمنيَّة، واكتنفَ استعمالها مراعاة مشاعر المتلقِّي.

المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي(ت:٩٨٢هـ-١٥٧٤م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلات .

٢- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل: زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي(ت: ٦٦٦هـ-١٢٦٨م)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى، ط١، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٣ هـ- ١٩٩١ م.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: أبو سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت:٦٨٥هـ-١٢٩٢م)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربين بيروت، ١٤١٨ هـ.

٤- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي(ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د.محمود مطرجي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ- ١٣٤٤م)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٦- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي(ت:١٢٢٤هـ-١٨٠٩م)، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، ط١، القاهرة،١٤١٩هـ.

٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٨- تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت: ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، ط١، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.

٩- التَّفْسِيرُ البَسِيْط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، ط١، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠ هـ.

١٠-تفسير القرآن: عبدالرزاق بن همام الصنعاني(ت:٢١١هـ)، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ.

١١-تفسير القرآن العظيم: عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي

حاتم(ت:٣٢٧هـ)، تحقيق:أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ.

١٢-تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي(ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبدالسلام أبي النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٣-تفسير يحيى بن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني(ت:٢٠٠هـ)، تحقيق: د.هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٤-تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت:٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

١٥-جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٦-الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت: ٦٧١هـ- ١٢٧٣م)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م.

١٧-جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت:٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م .

١٨-الجيم: أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء (ت: ٢٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

١٩-دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، ومحقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، ط١، دار الفكر - عمان، الأردن، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٠-السراج في بيان غريب القرآن: محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢١-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت: ٣٩٣هـ-١٠٠٣م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

٢٢-العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

٢٣-غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب: محمد بن عُزير السجستاني العُزيري(ت:٣٣٠هـ-٩٤١م)، تحقيق:

محمد أديب عبد الواحد جمران، ط١، دار قتيبة، سوريا، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٢٤-الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط١،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٢هـ.
٢٥-القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٦-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ-١١٤٣م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
٢٧-الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٨-مجمل اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٩-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي(ت:٥٤٢هـ-١١٤٨م)، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٣٠-المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م .
٣١-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت .
٣٢-معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(ت: ٥١٠هـ-١١١٧م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٣٣-معاني القرآن: أحمد بن محمد النَّحَّاس(ت: ٣٣٨هـ-٩٥٠م)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.
٣٤-معاني القرآن: سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط(ت: ٢١٥هـ-٨٣٠م)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠ م.

٣٥-معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٣٦-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (بحاشية المُصحف الشَّريف): محمَّد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٣٧-مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٣٨-المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ .
٣٩-مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٠-المُنَجَّد في اللغة: علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (ت: بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨ م.
٤١-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.
٤٢-الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي(ت:٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
٤٣-وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد الراغب، ط١، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.